

الوطن . . .

تقع حوادث هذه المسرحية في بلجيكا في الوقت الذي كانت فيه أسبانيا محتلتها بجنودها وتذيق أهلها من صنوف العذيب والاضطهاد ألوانا على أيدي عاظم التفتيش ، فأهلها في رعب دائم . يقبض على الواحد منهم لمجرد الاشتباه أو لوشاية كذوب . وهكذا كان الحال مع الماركيز دولانترى وى والكونت دوريزور ، فالأول أحد أمناء الملك شارل ملك فرنسا وقع أسيرا في يد الأسبان بينما كان يحارب إلى جانب صديقه الأمير تاسو شقيق أمير أورانج أحكم وأشجع مواطني بلجيكا ، فباعه الجند إلى الدوق الباسباني حاكم المدينة ، ففرض عليه هدا فدية قدرها مائة ألف جنيه ، طلبها الماركيز من أخيه المقيم في فرنسا ليدفعها للدوق الباس ، وقد أذن له الدوق بالتجول في أنحاء بروكسل حتى يدفع الفدية على ألا يتجاوز الحدود ، وفيما هو يتجول في المدينة ليتفرج على حفلات الكرنال قبض عليه الجند لاشتباهم في أمره .

أما الثاني فقد كان أحد الزعماء أيام الوصية الحاكمة قبل احتلال الأسبان لبلجيكا ، قبض عليه بتهمة تنية عن بروكسل أربعة أيام والمظنون أنه قابل فيها البرنس دورانج الناصر .

بدأ الفصل الأول حيث تنعقد المحكمة المؤلفة من ضباط الاحتلال وتبدأ في محاكمة المقبوض عليهم . فهذا يحكم عليه بالشنق لأنه بروتستانتي على خلاف مذهب الأسبان ، وذلك غلام في الرابعة عشرة من عمره يحكم عليه بالإعدام لأنه لم يرفع قبعة عند مرور الموكب الديني . وهكذا تستمر المحكمة في إصدار أحكامها المستبدة ولعلها تغير النطق بلفظ "الإعدام" .

ثم يأتي دور الكونت دوريزور ، فيوجه إليه الرئيس الاتهام فيزيه ، « بواجبه بشهادة الشهود فيكتبها ، وأخيرا يستقر الرأي بعد مناقشة عقيمة على أخذ شهادة الضابط المقيم في بيت الكونت فإذا لم تثبت شهادة الضابط أن الكونت كان في منزله الليلة الماضية ؛ فيكون ذلك دليلا على تفييه عن المنزل ومن ثم يستجوب عن باقي الاتهام . يستسلم الكونت ويراجع إلى جانب زميله الماركيز دولانترى ، فيسر إليه أن التهمة نابتة عليه وأنه لن يعيش أكثر من ربع ساعة حتى يؤدي الضابط شهادته . وقد أراد أن يكتب هذه الدقائق ليحمله رسالة لزوجته الكونتس دوريزور التي يحسها والتي لا يخاف من الموت

إلا لأنه يجرمه جهبا ويفرقه عنها ، وهو لا يعتبر نفسه جبانا إذا أرسل دمعة على سعادته الزائلة ، فيعده المراكز بتباين رسالته ، ويكون الضابط اللاجئ : تنزل الكونت قد حضر لتأدية الشهادة . وبعد منافسة قصيرة يقول إنه واثق من رؤيته للكونت الليلة الماضية ! فيقول له المحقق :

- فكر جيدا . هل رأيت حقا الكونت ريزور ؟

- أجل . . . فقد تبارزت معه . (فدهش الكونت نفسه بينا الضابط يسترسل قائلا) : هذه الليلة كنت عائدا إلى المنزل وكان الظلام دامسا . . . فصعدت السلم تلمسا الدرجات بطرف سفي . . . ولسوء الحظ برز من الدور الأسفل شخص مسرع من غرفة الكونت أتى له سيدة . . . فصححت به من يكون . . . فقال لي : ومن أنت حتى تسألني إذا كان يجوز لي أن أخرج من غرفتي . . . فرفعت سفي في وجهه . . . لكنه ابتصره مني وألقى به أسفل السلم . . . وقد أسننت بعد ذلك على ما بدر مني أسفا شديدا .

يلتفت المحقق إلى الكونت المذهول ليسأل عن صحة النصب ، فيجيبه بشرود إنها صحيحة . فيحكم بالبراءة مع الإنذار . ينزع لذلك المراكز دو لا تريموي الذي لفت بمركاته أنظار المحكمة ، فيسأله عن اسمه فيقول له . بعد برهة . فلا يجرأ أحد على إيذاء أسير المحاكم الذي يساوى مائة ألف جنيه يخرج مع هيئة المحكمة ويظل الكونت والضابط . وبينما الضابط يهم بالخروج يلتفت إليه ريزور قائلا بقلق شديد :

- لقد أنقذت حياتي يا سيدي . . . ولكن ما هي الحقيقة . . . إن شهادتك لم تطابق الواقع .

- أنا لم أذكر غير الواقع يا سيدي .

- عفوا يا سيدي . ألا يمكن أن يكون الشراب قد أثر فيك فتخيلت ما قلت ؟

يتور الضابط ويرى الكونت بأنه يهزأ به ويقول : إنه قد رأى ما أنضى به رأى العين وكأنما هو يسمعه وهو يقول : ادخل يا سيدي . . . وحاذري . ثم يقول إن الكونتس أقفلت الباب بعد ذلك بسرعة . ثم ردد ما ردداه . بصمت الكونت فيسأله الضابط عن يده . فيقول له الكونت : وما شأن يدي . فيرد عليه بأنها قد جرحت جرحا عميقا عندما كان ينتزع منه السيف وأزه الكونت صرخ متألما . . . وقد وجد الضابط في الصباح أثر دماء على السيف . ثم يقول وقد فاتني أن أستهجد بهذا في التحقيق ويشير إلى يد الكونت المكسورة بالفماز . يسكت الكونت أمام هذه الأدلة الصريحة فينبه الضابط إلى وجوب الإياب إلى المنزل قائلا : لقد انتهى عدلك .

وبعد أن يذهب الضابط يقول الكونت : انتهى عذابي . . . لم ينه عذابي . . . بل تمدابتدا .

وفي الفصل الثاني تبدو إحدى قاعات منزل الكونت دي ريزور ترى الكونتس
الشابة تستقبل الكونت كارلو صديق زوجها الحميم . فسأله عن جرح يده فجيها أنه بسيط
لا يباث أن يلتم ، فسأله عن سر اضطرابه فيخبرها أن زوجها قد عاد من سفره ، فبدي
استياءها من هذا الخبر . ويدبر الحوار حول علاقتهما الآثمة فيبدي لها كارلو استياءه
من علاقتهما فتقول له دولوريس : ولماذا ؟ أي ألم تحمله أنت ؟ "لاخي في سبيل حبك
أتعذب في الدنيا وأهني بفسى لعذاب الآخرة" . فردد عليها بأنه قد ضحى بأعظم وأقدس
شيء عنده . . . بشرفه . . . براحة ضميره . . . بعزة نفسه . . . فهو يشعر بانسار نتائج
بين ضلوعه . وقودها احتقاره لنفسه الذي يتعبه أينما كان . ويقول لها إنه وهو أصدق
أصدقاء زوجها وأول من يندى شرفه بحياته . يخوفه في عرضه ويخذه ويسرقه .

و يبتاهم في هذا الحديث إذ يدخل الخادم ويعلن أن الكونت قد قبض عليه ، فيهم
كارلو بالخروج فسأله الكونتس إلى أين ؟ فيقول لكي يحاول إلتناذ صديقه قبل أن يقتلوه ،
فتقول له أتذهب لإنقاذ غريبك ؟ فيرد عليها بأنه ليس غريبه وإنما هو رجل شر يف يجب
إلتناذه . . . ويقوم بواجبه نحوه . تسخر منه قائلة : إذن أنقذه . . . وعده به إلى البيت لكي
أخونه غدا معك . . . وأحمل من ذلك أن أخونك معه هذا المساء . فيقول لها : أنت شيطان
وإذا بانحادم يدخل معنا بفرح حضور الكونت .

يدخل الكونت فيقاله كارلو بفرح صادق وتتقدم إليه زوجته مهتة بفتور فيلاحظ
زوجها عليها أنها ترتعد فيألمها السبب فتقول له إنه الأثر ، وتخرج تأمر بإعداد العشاء .
يخلو الكونت إلى صديقه فيتفان على بديرا لخطه اتفق عليها بينهم ، وهو أن يتسلل البرنس
دورامج تحت جناح الظلام بعد أن يجتاز السلال المنصوبة حول المدينة فيتعهد كارلو بالتحايل
على الحاكم لرفعها متحججا بنقل أسلحة لفرقة . ويتواعدان على اللقاء في المساء ويخرج
كارلو وهو يشد على يد صديقه . وبعد برهة تدخل دولوريس فيتزوجها الفرجة ويفاتحها
في أمر مرأى رجل غريب يخرج من غرفة الليلة الماضية . فتذكر فيصر على إهامها فيزل
لسانها وتكشف الحقيقة فتعترف مكروه وطلب منه أن يقتلها فهي تكبره وتزعم تنصرا
على قبول مداعباته لها ومجامته ، فيرد عليها قائلا بأنه لم يكن ينظر أن يقال بحيله الذي صنعه
فيها الإساءة ، فقد قدم لها قلبه وهي الفتاة اليتيمة للطيمة مع ثروته ومركره ولقبه وانثلتها
من أقدس في المدينة وهي لا تكاد يجد ما تسد به الرمق ، ولا تملك من حطام الدنيا سوى
سرير أمها الذي ماتت عليه من البؤس والفاقة . ابعدها يستحق منها كل هذا الحد وهذا
الكراهة ؟ ! وتعترف له وهي شائخة الرأس . فتقول له إنه لم يعجبها الحب الكافي ، الحب
الذي ترغبه ، فقد وجه كل عاطفته لما يسميه بالوطن ، أم هي فلم تلق منه إلا الإهمل ،
غبه الجنونى لوطنه لخرمها الحب والعطف ، وهي ترى أن الوطن الحقيقي عندها هو الحب

فلو كان قد بذل في سبيل حبها ما بذله في سبيل وطئه لما وصلنا إلى ما هما فيه . فيحاول أن يضطرها لأن تعترف باسم عشيقها فترفض . ولكنه يخبرها أنه سوف يبحث عنه ويقنله ويكفيه أب يعرفه بالجرح الذي أحدثه السيف في يده ويخرج ولكن تقول : كلا إن قنلته (وتأخذ رداها وتخرج) .

وفي الفصل الثالث نحن في غرفة الدوق ألبا الحاكم الأسباني لمدينة بروكسل وهو يعطى كل اهتمامه لابنته رفائيل المريضة ولا يهتم في الدنيا شيء أكثر من إعادتها وإبرائها من طلبها . تدخل عليه فبفرح بمرآعا ويبدى لها أمه في شفتائها وبينما هو يداعب ابنته إذ يطن أحد المساعدين حضور قائد فرقة الأعيان الكونت كارلو فينضب لقطع خلوته المائتة عليه ولكن يأسر بإدخاله ، فيلاحظ الحاكم أن الكونت لا يزال يحمل سيفه فيجرده منه لأن فرقته قد ألغيت ويقول له : لمادا أتيت؟ فيقول كارلو إنه إنما أتى لينفذ أمر الحاكم بجمع أسلحة المدينة وتسليمها له وإلا عوقب بالقتل ، وهو لن يستطيع أن يؤدي ما يطالب منه فينقل ثمانية درع وخوذ بينا السلاسل تعترض طريقه ، ولذلك فهو يطلب أن ترفع السلاسل في الماء من جميع طرق البلدية فيرافق الحاكم أخيرا ويهد إليه سيفه تحت إلحاح ابنته التي تخبره بأن هذا الضابط قد دفع عنها ذات يوم اعتداء الجمهور عليها في الطريق . ويمرض عليه أن يلحقه بصباط الحرس الأسباني فيرفض ويهد سيفه ثانيا إلى الحاكم ويقول له انظر سعادتك جيدا إلى السيف إنه سلاح قوى يحمي الوطن ويذود عن المواطنين وهو لا ينسل من غمده إلا ليقوم بوجبه المحمود ولكنه يأبى أن يستخدم في اعباد الشعوب وهو لا يطاق عنى على هذا بل ينحرق صدرى (وإننى بالسيف ع المائدة) فينضب الحاكم ولكنه يكظم غمده تحت إلحاح ابنته ويوافق في النهاية على أنزل السلاسل . ويخرج كارلو .

مدخل على الحاكم بعد ذلك دو أوريس الكونتس ريزور وتكون رفائيل قد خرجت وتقول له إنها اكتشفت - مؤامرة يدبرها رجل تبغضه وهذا الرجل يبغى قتل عشيقها وقد تبعت هذا الرجل هذا المساء إذ رآته يتسلسل ليلا رغم الأوامر العسكرية فوجدته قد اجتمع بعشرين رجلا في قبو وبين هؤلاء الرجال البرنس دو أنج . فيكذبها ولكنها تؤكد له أنها سمعت بأذنها الخطة التي ينوون تنفيذها وهي هجوم البرنس دورانج بستة آلاف رجل مسلحين عند سمعهم دق جرس الكنيسة الكبير ويكون واحد منهم قد احتال على رفع السلاسل . وتفضي إليهم ببعض أسماء الثامرين ولكنها تطلب من الحاكم أن يفوق عن حبيبها ويقتل الجميع ولكنه يخرج ويقادرها سجينه أشبه بالمجانين .

في ذلك الوقت يكون الثامرون قد بدأوا في تنفيذ خطتهم في دار البلدية وقد تبادلوا مع سكان المدينة الاشارات علامة الاستعداد . ينفرد كارلو بالكونت ريزور ويميزان أنفسهم بانصر وهيثان بعضهم للعركة فيلاحظ ريزور أن كارلو لا يحمل سيفه فينارله سيفا من على المنضدة فيمد كارلو يده العارية من القفاز لينارل السيف ويلاحظ ريزور بالجرح

فيمسك بيد صاحبه صارخا : ماذا بك ... ما هذا الجرح ... من أين أتاك ... فإرد قائلا :

من سلاح أمذته بلا حذر .

— من جندي أسباني .

— لماذا ؟

— هذه الليلة ... في بيتي ؟ ... أيها الشقي ... هو أنت ... سارق حي ... قاتل شرفي ... سأقتلك .

— (وهو يركع أمام مباحبه) أفتلني إذن ... الموت من يدك أهون من العذاب الذي

أنوء به ... أأشقى ... جيان ... خائن ... نذل ... أتمس الموت منك جائئا على ركبتي .

يتزل ريزور سيفه وهو يقول : أيها التعس يا من أخلصت له الحب ... أهكذا تخونني

من أجل امرأة ... أنت يا من أحببت ... لم أكن أعتقد إلا في ثلاثة ... الوطن وهي وأنت ...

انظر الآن ماذا تبقى لي وبسببك ... موتك ... ماذا يجدي ... موتك ؟ ... سيصبح انتقامي ...

ولكن الوطن الذي يدافع عنه كلابا سيفقدك . أأحرم معركة الليلة من مساعدك القوي في وقت

يقرر فيه مصير الوطن . الوطن في حاجة اليك ... يا إلهي لا ... لو فعلت أكون مجرما

في حق الوطن مثل إجرامك في خيانة عرضي ... لا أيس لي الحق في أن أسلب الوطن

شجاعته كما لم يكن لك الحق في أن تسلبني سماتي .

— إذن نأنت لا تريد .

— قم وخذ هذا السيف وسر الى القتال ... أسرع حيث يدعوك الواجب وحيث

يأمرني واجبي ... وأن وجب أن تموت ... فلا تم مجرما ... مت بجندي ... مت ميتة

الأبطال . ابق واستقم لي من نفسك ... سلبت مني الشرف فأعد لي الحرية ... أخذت مني

امرأة فرد لي الوطن ... سأرى بهدئ إذا كانت بطولتك كفييلة بغسل جريمتك ؟ إذا كان يجب

أن أنسى حقدى عليك باعترافي لك بالجميل .

— ستغفوني ... ريزور سأحملك على ذلك .

وبنناهم يناهبون للمعركة إذ يهجم عليهم العدو خلسة . ويضطرهم الى التسليم بعد فضائل

أبدى فيه كارلو من البطولة ما يستحق الذكر ويمرض نفسه لاحتمال مسؤولية المؤامرة ،

ولكن الكونت يقدم نفسه باعتباره من مدبرها . ويتناول الحاكم إرذالهم على الاعتراف

بالإشارة المثق عليها فيرفض الجميع ولكن قارع الأجراس يبدي استعدادا للاعتراف فيجذره

كارلو . فإرد عليه قائلا : "

لست إلا رجلا مسكينا . أيها السادة . سيفتكون بي .. ولدى امرأتي وأولادى .

فرد عليه كارلو قائلا بتوسل ، اذكر أن ثلاثة ملايين روح بين يديك . أقتذ الوطن .
ويتوسل اليه مع الكونت ريزور ولكنه يخرج ليدق الأجراس ؛ لطريقة المرسومة تحت ضغط
جنود الحاكم . بينما الثوار يبكون من الغيظ والألم .

يدق الجرس ولكن بإشارة يفهم منها الأمير ألا تدخل وابتعد عن المدينة ... يفرح
الجميع بينما يتميز الحاكم وجنوده من الغيظ فيطلقوا النار على قارع الأجراس ويردونه قتلا .
ثم يأمر الحاكم بنصب المشاقق في الميدان بسرعة لشق الجميع .

وإذا كان الفصل الرابع فتحن في صالة قصر الدوق البسا الحاكم بجوار محكمة الجرائم ،
يرى الحاكم وهو يصدر أوامره إلى الجلاد كي يعذب الكونت دي ريزور ويقتن في تعذيبه
حتى يعترف باسم باقي الشركاء . بينما تدخل دولوريس تستنجز الحاكم وعده بإطلاق سراح كارلو
عشيها فيرفض ويرميها بالذالة والوقاحة والحيانة لزوجها فتتميز فرصة دخول ابنة الحاكم
وتحصل بفضل توسلات الابنة على جواز سفر للكابتن كارلو إلى مدينة ليل ، ويخرج
الحاكم مع ابنته وتهم دولوريس بالخروج فتلمح زوجها آتيا من بعيد فترتعد وتسلك طريقا
غير طريقه حتى لا تراه وتخرج بينما يدخل الكونت ريزور بصحبة ضابط ليقوده إلى غرفة
التعذيب الرهيبة كي يعترف ولكنه يعلم من الضابط أن صديقه المركزي تريموي قد أعطى
الضابط خنجرا يسلمه للكونت إذا احتاجه ... فيشكره الكونت شكرا مضاعفا . ويهم بالخروج
وإذا به يرى كارلو يدخل بين جنديين وقد أعلن أن الكابتن كارلو مطلق السراح . يفرح
بذلك ريزور ولكن كارلو يقول ولماذا أنا دون باقي الرفاق ؟ فيخبرونه أن الدوق قد أمر
بذلك تيمنا لأمر ابنته ، فيرفض أن يطلق سراحه ويفضل أن يموت مع زملائه فيرده الكونت
ريزور ويرجوه أن يطيع الأمر ويخرج فيقول له :

يحق السماء ... دعني أموت ... دع الجلاد ينتقم لك مني ...

وإن كنت لا أريد انتقام الجلاد ؟

تمنحني عفوك ... دون أن أستحقه ... كلا

وإذا كانت ظلمتكم كما قلت قد ملكني حياتك ... فاني أملك حق العفو عنها .
اذن هي ملكي ... ولست أرجو منك أن تهيش ... بل أمرك . ولكن آخر يد اصاغها
يد صديقي ... عزيز على ... قد وجدته بعد أن كدت أفقده ... وقد طهرته دموع التوبة .

فيضغط كارلو على يد الكونت ويتبها بينما الكونت يقول : اتق يا عزيزي كارلو لتخدم
قضيتنا المقدسة ... التي هي الآن أحوج ما تكون لاختلاصك ... لكن حب الوطن من الآن
شاعلك الوحيد ... هذا الحب الذي جمع بين رجائين كان قد فرق بينهما عداء قاتل ... أنت
لا تزال شابا ، وسترى علم الوطن يرفرف فوق أسوارنا فتذكر زميلك الذي حارب الى جانبك .
فقط أريد منك شيئا واحدا أن تحمل عني واجبا مقدسا . وهو أن تجت عن خاسنا وتاجر

يوطنه . وعندما تقبض عليه كأننا من كان اضربه ، اسحقه دون ما شفقة ولا رحمة ... اقسم بالله . فبقسم . ففكر عليه : كأننا من كان . فيردد : كأننا من كان . فيقول الكونت : أرايت كيف أأشقى في الإبقاء على حياتك ... ويتصاخن بعضهما ويخرج الكونت بصحبة الضابط ويهدرحة يرحح الضابط وحده ويقول لقد اعترف الكونت ... فوسأله كارلو لهفة : ماذا قال ؟ فيقول قالها بكلمة واحدة «الوطن» واغمد هذا الخنجر في قلبه ومات . فيشحب اون كارلو ويلجم الحزن لسانه ويستأذن الضابط في أخذ الخنجر الذي قتل به صديقه فيعطونه اياه . ويأخذه ويخرج .

وفي الفصل الاخير نرى دولوريس تجلس بيوار النافذة بينما يدخل كارلو تمش للقاء وتفرح برآه وتتنزل فيه .. فيلومها على قولها هذا في مثل هذه الظروف ويخبرها بموت زوجها فتألم قليلا ثم لا تلبث أن ترجع الى جنونها بكارلو . فيقول لها : ألا تتصنين الى حدث المحارق في الشوارع ؟ فلا تأبه بذلك . وتقول له : وماذا في ذلك تعال الى جانبي . فيقول لها : إن على واجبا وعدت به ارا-ل وهو أن أنبل من حاننا . تصعق وتقول له أنت تقترف جريمة القتل عمدا ... لا أنا لا أصدق ... لا تفكر إلا في- أنا ... هيا نذهب من هنا وعندى جواز -فرمى وعندك جواز سفرك ، وقد أخذت جوازي في قصر الحاكم هذا الصباح .. فيترجع صاعدا : يا الهى أنت ... أنت من أضاعنا ... هي أنت ... أيتها المخلوقة اللعينة ... يا الهى المنتقم أبحث عنها وهى أمامى ؟ وينسحبها الى النافذة ليربها فعلتها الشنيعة ... و تقول لها : انظرى الى محرقتك الملتمة ... عدى ضاياك ... تعودى حر اللهب ... اسمى لقد راوتى انهم يتقاولون ... كارلو الخائن ... الخائن ... اسمى صوت المسائت يصبح بى لا تنس القسم اضرب أيا كان المجرم... وهجم عليها وينمذ في صدرها الخنجر بينما هى تولول بجنون وفزع ، وتقع وهى تهيف با-ه .. وتدعره أن يموت معها ... فيقول لها ... سألحق بك ... انظرينى ... أنا داهب ... (ويعلل النافذة ويصيح فى الشارع) أيتها الجلاد ينقصك واحد من ضاياك ... افسح مكانا فى محرقتك ... افسح لى مكانا بينهم (ويقفز من النافذة الى الساءة) بينما تسلم دولوريس أنفاسها الأخيرة ما

سمير

تم طبع هذه المجلة بالمطبعة الأميرية ببولاق
فى ٢١ من ربيع الأول سنة ١٣٦٢
(٢٧ مارس سنة ١٩٤٣) م
مدير المطبعة الأميرية

محمد بكبرى